

واقع الهوية الجزائرية في سينما المهجر: فيلم "إن شاء الله الأحد" أنموذجا.

The Reality of Algerian Identity in Diaspora Cinema: A Case Study of the Film "Inch'Allah Dimanche"

حاجم هوارية¹

جامعة أحمد بن بلة 1 وهران، الجزائر، houaria.hadjem@gmail.com

عزالدين عتيقة²

جامعة أحمد زبانه غليزان، الجزائر، attika.azzeddine@univ-relizane.dz

تاريخ النشر: 2025/12/15

تاريخ القبول: 2025/11/10

تاريخ الاستلام: 2025/09/15

ملخص:

تُعتبر سينما المهجر أحد أهم الوسائل الفنية التي ساهمت في نقل الهوية الجزائرية إلى العالم، حيث قدمت أفلامها رؤية فريدة ومتميزة عن التاريخ والثقافة الجزائرية. من خلال أعمال مخرجين جزائريين بارزين مثل محمد شويخ، مرزاق علواش وغيرهم. استطاعت سينما المهجر أن تعبر عن الهوية الجزائرية بكل تعقيداتها وتناقضاتها وصراع الفرد الجزائري في المهجر بين الحفاظ على جذوره والتكيف مع ثقافة المجتمع المضيف. وفي هذا السياق، نطرح إشكالية كيف ساهمت سينما المهجر في التعبير عن الهوية الجزائرية وتمثيلها على المستوى العالمي من خلال فيلم "إن شاء الله الأحد" للمخرجة يمينة بن غيغي كنموذج تطبيقي. كلمات مفتاحية: الهوية الجزائرية، المهجر، السينما الجزائرية، الثقافة.

Abstract:

Diaspora cinema is considered one of the most important artistic means that has contributed to conveying Algerian identity to the world, as its films have presented a unique and distinct vision of Algerian history and culture. Through the works of prominent Algerian directors such as **Mohamed Chouikh, Merzak Allouache**, and others. diaspora cinema has been able to express Algerian identity in all its complexities and contradictions, and the struggle of the Algerian individual abroad between preserving their roots and adapting to the culture of the host society. In this context, we raise the issue of how diaspora cinema has contributed to expressing and representing Algerian identity on the global level, through the film "Inshallah Ahad" by director **Yamina Benguigui** as a practical model.

Keywords: Algerian identity; the diaspora; Algerian cinema; Culture.

* المؤلف المرسل: د. عزالدين عتيقة attika.azzeddine@univ-relizane.dz

مقدمة:

لم تكن السينما عبر تاريخها مجرد فنّ بصري للتسلية أو الترفيه، بل تحولت إلى أداة فاعلة لصناعة الثقافة وتشكيل الوعي الجمعي، والتعبير عن الهوية الفردية والجماعية في آن واحد. وإذا كانت التجارب السينمائية العالمية قد نجحت في ترسيخ هذا الدور منذ بدايات القرن العشرين، فإن السينما الجزائرية ظلت بدورها وفيّة لهذه الرسالة، إذ حملت على عاتقها مهمة التأريخ لتحولات المجتمع الجزائري وتوثيق ذاكرته الجماعية، وكشف ملامح شخصيته الحضارية.

ومنذ مطلع الألفية الثالثة، اتّجه العديد من المخرجين الجزائريين نحو الواقعية الجديدة، معتمدين الفضاءات الخارجية فضاءاتٍ للسرد البصري، ومُجسّدين تفاصيل الحياة اليومية في مشاهد محمّلة بالرموز والدلالات، تعكس نبض الواقع وتعيد قراءته بجرأة فنية. وهكذا غدت الأفلام الجزائرية المعاصرة مرآة تتقلّ التحديات الاجتماعية والثقافية، وتفتح في الآن ذاته أفقاً للنقد وإعادة التفكير في الحاضر والمستقبل.

وقد شكّلت سينما المهجر جسراً متيناً بين الوطن الأم وفضاءات الاغتراب، إذ عبّر المخرجون الجزائريون المقيمون في أوروبا وخاصة في فرنسا - عن ثنائية الانتماء والاقتلاع، وعن توتر العلاقة بين الذاكرة والهوية. ولم تقتصر هذه التجارب على الحنين أو استحضار الماضي، بل قدّمت صوراً نقدية ومعاصرة تكشف صعوبات الاندماج وتفكّك الروابط الأسرية، وصراع الأجيال بين المحافظة على الأصول والانفتاح على ثقافات جديدة. وهكذا أضحت سينما المهجر الجزائرية مرآة تعكس معاناة المنفى وثرأ التعددية الثقافية في آن واحد، كما منحت السينما الوطنية بُعداً إنسانياً كونياً يتجاوز حدود الجغرافيا.

تأتي هذه الورقة البحثية للكشف عن ملامح وخصوصية الهوية الجزائرية التي روّجت لها السينما من خلال الأفلام التي تحاكي الهجرة والاغتراب، والبحث في كيفية اندماج وتواصل المجتمع الجزائري في الخارج. وهذا اعتماداً على تحليل العناصر الفنية لفيلم "إن شاء الله الأحد" لمخرجته الجزائرية المغتربة يمينة بن غيغي.

وعلى ضوء ما سبق نطرح الإشكال التالي:

كيف ساهمت سينما المهجر في التعبير عن الهوية الجزائرية ونقلها إلى العالم؟

تتدرج تحته جملة من التساؤلات الفرعية:

- ما مفهوم الهوية في حد ذاته؟
- ماهي سمات وملامح الهوية الجزائرية؟ وما علاقتها بالعديد من المصطلحات كالثقافة والحضارة؟
- كيف تفاعلت السينما الجزائرية مع هذا الموضوع؟
- فيم تجلّت ملامح الهوية الجزائرية عبر فيلم "إن شاء الله الأحد"؟

1. مفهوم الهوية:

الهوية هي مجموعة الميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه، وأن يتعرف الناس عليه أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف التي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعتز به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها (شرقي، 2013، ص 149).

ويرتبط مفهوم الهوية بصفة مباشرة بمفهوم الثقافة، مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا فيها فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني هو تكريس هوية ثقافية من خلال عملية تمثل عاطفي واجتماعي مع عملية اندماج تاريخية وثقافية ونفسية واقتصادية تستغرق زمنا طويلا مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية الثقافية بصفته الرحم الذي تنمو وتترعرع فيه لتشكل في نهاية المطاف هوية ثقافية معينة نتيجة لانتمائها لأمة معينة (شرقي، 2013، ص 193).

والهوية الوطنية بهذا هي المتمثلة في مقومات ثابتة وقيم ناظمة لها، بحكم التشبث المتواصل بها عبر العصور والأجيال، بحب صادق وبروابط فكرية ونفسية تشد هذه الأجيال وتجعل الكل يتفاعل معها بادراك عميق وحتى بدونه، أي بعفوية وتلقائية (عباس ، د ت، ص 65).

2. محددات وأسس الهوية الجزائرية:

1.2 اللغة: اللغة ظاهرة اجتماعية فإنها من العناصر الأساسية المساهمة في الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع، حيث تكتسب أهمية بالغة بالنظر إلى طبيعة الوظائف التي تؤديها في سياقها الاجتماعي والتاريخي والسياسي والثقافي واللغوي، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت رمزا للهوية الوطنية ووسيلة للإبداع الفكري، ومطلبا اجتماعيا ونخبويا يهدف إلى تأكيد السيادة الوطنية والوحدة اللغوية (صحراوي، 2009، ص 09).

2.2 الدين: الدين هو الحالة النفسية والعقلانية والوجدانية للشخص أو الجماعة، وهو المبادئ والقيم والعادات، وبذلك تكون محصلة هذه العناصر تحيل مباشرة إلى مفهوم الهوية، من هنا يمكننا أن نستنتج ما لعنصر الدين من تأثير مباشر في تشكيل هوية الجماعة، خاصة إذا علمنا أن الدين ظاهرة تنقش في المجتمع، بالشكل الذي تأخذ فيه ملامح الظاهرة الاجتماعية، بحيث تتجسد التجربة الدينية في نسيج الفعل الاجتماعي. (بن نكاع، 2012-2013، ص 99).

3.2 الثقافة: بدءا من التراث الذي تراكم عبر العصور والأجيال، إلى ما يجد من إنشاء أبناء الوطن في سائر المجالات العقلية والروحية والعاطفية وما إليها من مهارات تتم عن ذاتهم وشخصيتهم. وهي مالها من علاقات

ببقية مكونات الهوية، لاسيما بمقوم اللغة وماله من نسق فكري تكتسي خصوصيات تميزها، وتتيح لها التبادل مع غيرها، وقدرتها على امتصاص عناصر التكيف مع عوامل التجديد.(الجراري، د.ت، ص 71)

4.2 الأزياء: إن الزي التقليدي جزء لا يتجزأ من تراث الأمة، وهو مظهر من مظاهر الهوية الجماعية للأمة لذلك نرى الرؤساء والملوك يظهرون به في المناسبات والأعياد، وفي ذلك اعتراف منهم بهويتهم الأصلية.

5.2 التاريخ: إن الأمة التي تجردت من تراثها الحضاري تتحول إلى مجموعة أشخاص قد لا يوجد رابط يجمعهم، لأن معرفة ما كان من أثر التركيب الثقافي للأمة بما يقوم عليه من أسس تربوية وما يعتمد منه من قيم فكرية في صنع كيائها الحضاري هو أهم ما يمكن استخلاصه من تراثها التاريخي وعليه فهذا التراث الحضاري الذي تضطلع عليه الأمة من خلال اهتمامها بتاريخها يعد الحجر الأساس في مجال صنع كيائها الحضاري، فهذا يعني أن هذه الأمة قد أرست أسس هويتها الخاصة بها.

6.2 الذهنية: ولمواصلة رصد ملامح الهوية الجزائرية وما انعكس منها على شخصية الأفراد نجد "بن عبد الله محمد" يشير إلى سمتان أساسيتان ومركزيتان في سلوك الجزائري بشكل عام بقوله: فمن خلال الحياء والشرف تتحدد نظرة كل مغربي إلى العالم، وتجعل سلوكه الفردي منسجما تماما مع المطلب الجماعي، وبالتالي فهو حينها يبدي استحياء من الغير يسعى في الغالب إلى تجنب لوم الجماعة. بهذا نقول بأن الحياء سمة أساسية وجوهرية في شخصية الجزائري.

7.2 نزعة التقديس: يشير هذا العنصر إلى التتويج الصريح للأوهام السابقة أو ما يعرف بغياب الصراع الاجتماعي... والجزائر بهويتها الأمازيغية العربية الإسلامية تعيش حالة من تغلغل لتأثيرات سلبية للعولمة الإعلامية والثقافية. ذلك أن تدفق الرسائل الإعلامية والثقافية بكل ما فيها من قيم، بعضها يعتبر في نظر هذه المجتمعات قيما سلبية وأحيانا مدمرة، وهي في جميع الحالات تحمل أخطار الغزو الثقافي مما يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات. (مطلب، 2016، ص14)

3. سينما المهجر:

تسببت أزمة الموارد المالية التي شهدتها قطاع الإنتاج السينمائي بعد رفع الدولة دعمها بشكل شبه كلي للقطاع منذ التسعينات، في هجرة الكثير من السينمائيين الجزائريين إلى فرنسا ودول أوروبية أخرى لتجاوز العائق المادي فالبحت عن صيغ مقبولة لتجسيد أفكارهم الفنية، وكان هذا هو الحل الأسرع والأنجع بالنسبة لهؤلاء من أجل إيجاد صيغ بديلة لإنتاج سينمائي أفضل، ومما زاد في هذا الوضع تأزما هو الأزمة الأمنية التي عانت منها البلاد والتي طالت العديد من الصحفيين و المفكرين و السينمائيين من خلال تهديدات أمنية أدت بالبعض منهم إلى مغادرة البلاد، ومن بين المخرجين الذين هاجروا نذكر مرزاق علواش، محمد زموري، محمد بوعماري،

ابراهيم تسكاي... كما شهدت هذه الفترة نشأة جيل جديد من المخرجين الشباب المقيمين بالمهجر على غرار جميلة صحراوي، عمر حكار، من بينهم من ينتمي للجيل الثالث من المهاجرين على غرار كمال دهان، يمينه بن قيقى... وغيرهم (عدة، 2012، ص103).

والى جانب السببين المتعلقين بالعوائق المادية وغياب الدعم المالي، والأزمة الأمنية في البلاد، يقر عدد من المخرجين بأن التضيق ووضع الإبداع في قوالب جاهزة قد أثرا على الفن السابع في الجزائر بعد الاستقلال وهو ما دفعهم الى الهجرة، فالأفلام السينمائية التي عرفتها الجزائر في ستينات وسبعينات القرن الماضي كانت في غالبيتها ذات طابع سياسي دعائي، والمخرج فيها كان موظفا لدى الحكومة، يقوم بما يطلب منه دون مراعاة متطلبات المشاهد ومدى ملائمة هذا العمل للواقع ولاهتمامات الناس (بوطلعة، 2012).

وأمام ضيق الحريات العامة، طيلة عقود سابقة لجأ المخرج إلى إفراغ حملته في الجانب الآخر من البحر، وربما هذا ما أدى إلى بروز ما يسمى بسينما المهجر، أو الأفلام الفرنكوجزائرية، حيث يعبر المخرج كما يشاء ويلج إلى طابوهات السياسة دون خوف من الرقابة، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر المخرج الجزائري "مرزاق علواش" الذي برع في معالجة المواضيع السياسية مسلطا الضوء على موضوع الإرهاب باسم الدين والقتل باسم الجهاد الإسلامي و تجسد ذلك من خلال العديد من انتاجاته. (منصور، 2012-2013، ص91).

وبغض النظر عن الاتهامات المرتبطة بالجهات الداعمة لأفلام المهجر أو ردود أفعال السينمائيين المهاجرين، فإن النظر إلى سينما المهجر من زاوية التحليل الموضوعاتي يكشف عن حضور بارز لمفهوم الحرية والسعي إليها باعتبارهما متنفساً أساسياً للتعبير عن قضايا ترتبط بالوطن والهوية، وهي أكثر المواضيع حضوراً في هذه الأفلام على اختلاف أشكالها. فالهجرة سواء كانت خياراً إرادياً للمخرج أو نتيجة ظروف قاهرة تؤدي في النهاية إلى الانفصال عن المجتمع الأصلي. وهنا تبرز الذاكرة بما تحمله من شحنات وجدانية وتجارب شخصية، كمصدر إلهام محوري لأعمال كثير من هؤلاء المخرجين (رحمون، د. ت، ص167). وتُستثمر هذه الذاكرة من خلال استدعاء الذكريات التي يرونها من عايشوا الحدث في الفيلم الوثائقي، أو عبر الصور والفيديوهات العائلية، إلى جانب توظيف الموسيقى باعتبارها وسيلة تربط الماضي بالحاضر بين الوطن الأصلي وبلد المهجر. كما يُلاحظ أيضاً حضور مجموعة من الرموز الأخرى كالألوان، الأصوات، الروائح، أصوات الأمهات، وضجيج الحيوانات، وهي جميعها عناصر تُستحضر للدلالة على الطفولة والقرية الأصلية التي انحدر منها المهاجرون.

4. الهوية والهجرة في فيلم "إن شاء الله الأحد"

1.4 منهج الدراسة وعينة البحث:

سنعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي كأسلوب علمي، من خلال التعرّض لفيلم "إن شاء الله الأحد" للمخرجة الفرنسية ذات الأصول الجزائرية يمينة بن غيغي، وسبب اختيارنا للعينة هو أنها تطرح من خلاله قيم وعقلية المجتمع الجزائري التي تشكل جزءاً أساسياً من هويته في خضم الهجرة والاعتراق، وهي الظاهرة التي رافقت أجيالاً من المغتربين الجزائريين في فرنسا، لتؤسس بتأني وعمق لهذه الحالة، كما اتخذت من محيطها الاجتماعي - وهي ابنة الهجرة - سنداً قوياً في سردها الفيلمي. وسنركز في تحليل بنية الفيلم على العناصر الفنية التي يتكون منها ويحدد خصوصيتها.

2.4 يمينة بن غيغي في سطور:

تُعد يمينة بن قيقبي (Yamina Benguigui) من الشخصيات السياسية والثقافية البارزة في فرنسا؛ فقد عُيّنت وزيرة مكلفة بالفرنكوفونية والجالية في الخارج سنة 2012. وُلدت يوم 9 أفريل 1955 بمدينة ليل شمال فرنسا، في أسرة جزائرية مهاجرة من مدينة بشار، وكان والدها منخرطاً في الحركة الوطنية التي أسسها مصالي الحاج. إلى جانب مسارها السياسي، اشتهرت بن قيقبي بإسهاماتها في مجال السينما والإخراج، حيث أنجزت وثائقيات وأعمالاً درامية من أبرزها: ذاكرة الهجرة (1997)، إن شاء الله الأحد (2001)، وعائشة (2007). وقد حازت أعمالها على جوائز دولية مرموقة، من بينها الميدالية الذهبية بمهرجان سان فرانسيسكو الدولي (1998)، والجائزة الأولى بمهرجان السينما الجديدة في مونتريال، فضلاً عن ترشيحها لتمثيل الجزائر في جوائز الأوسكار (2002).

3.4 بطاقة تقنية للفيلم: "إن شاء الله الأحد" « Inchallah Dimanche »

سيناريو وإخراج: يمينة بن غيغي

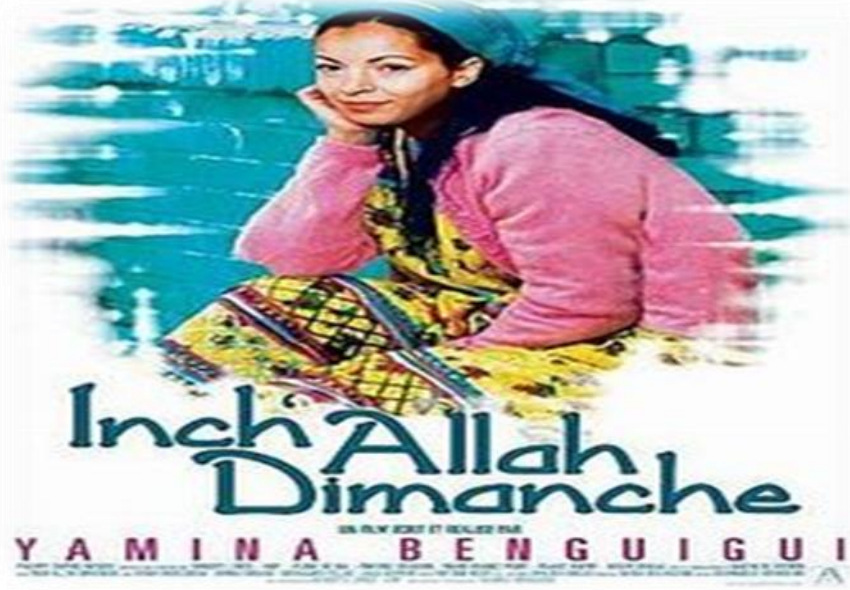
بلد الإنتاج: الجزائر، فرنسا / اللغة: العربية، الفرنسية.

السنة: 2001 / المدة: 98 د / بالألوان .

تمثيل: فخرية دليبة، رابعة مقدم، أمينة عنابي، أنس بحري، حمزة ديبه، زين الدين سويلم.

المنتج: فيليب دوبوي مندل ، شركة : Bandits Longs

مونتاج: نادية بن رشيد / تصوير: أنطوان روش / صوت: ميشيل فيونيه (حاجي).



ملصق الفيلم

4.4 ملخص الفيلم synopsis :

تطرح المخرجة -في فيلمها الروائي الأول- عدّة مواضيع، مستلهمة من رحم الهجرة والاعتراب قصة زوينة التي تترك أهلها في الجزائر مُكرهة وتلتحق بزوجها أحمد العامل بأحد مصانع شمال فرنسا رفقة أبنائها الثلاثة ووالدة زوجها عائشة، لتجد نفسها في عالم جديد مؤجّج بالوحدة والعنف والقسوة...

5. تفاعل العناصر البنيوية للفيلم مع الهوية الجزائرية :

1.5 السيناريو والبناء الدرامي:

يتأسس فيلم "إن شاء الله الأحد" المقتبس عن نص روائي لبن غيغي، على مرجعية تاريخية مرتبطة بقرار الحكومة الفرنسية الصادر عام 1974 حول السماح للمهاجرين من العمال استقدام زوجاتهم أو بما يعرف بـ"الم شمل العائلة"، وهو ما أوجد زوينه في عالم أكرهت عليه تاركة وراءها الوطن والعائلة في حالة من التمزق عن جذورها، في عالم يشبه المنفى الإجباري. تكتشف منذ وصولها برودة الزوج وقسوته، وتواجه سلطة الحماة عائشة ومراقبتها، وصعوبة تواصلها مع العالم الخارجي الذي تواجدت فيه. في محاولتها لتكسير هذا العالم، تسعى زوينه للتواصل أولاً مع الجيران من خلال الزوج الفرنسي، ثم تكتشف عن طريق ابنها في المدرسة وجود عائلة جزائرية في الجهة الأخرى من المدينة فتخطط للبحث عنهم، لتتقاسم معهم أجواء جزائرية والحنين إلى البلاد، خاصة في يوم عيد الأضحى، الذي لا يفصلها عنه إلا ثلاثة أسابيع. فتستغل زوينه يوم الأحد، عندما يصطحب زوجها والدته بنزهة في المدينة، لتخرج من البيت برفقة أبنائها وتقطع المدينة بحثاً عن تلك العائلة الجزائرية في مغامرة محفوفة بالمخاطر وفي وجدان زوينه كل معاني التحدي والسعادة.

استفادت المخرجة بن غيغي من عملها الوثائقي "ذاكرة المهاجرين" لتؤسس بعمق لهذه الحالة التي تتجلى في رحلة البحث عن الهوية المشتركة في بلاد الغرب، كما اتخذت من محيطها الاجتماعي وهي ابنة الهجرة سنداً قوياً في سردها الفيلمي، لتحثني بالمرأة وتنتصر لها بعد انكسارات وهزائم اجتماعية ونفسية، ويتحول يوم الأحد إلى رمز للراحة والحرية، وقُدِّر لزوينة أن يكون هذا اليوم للفرح والإنعتاق.

أ. الشخصيات: تركز المخرجة علي الحالة النفسية للشخصيات الجزائرية الثلاثة في الأسرة الواحدة: الحماة التي تركت وطنها وخُلفت من جذورها في هذه السن المتأخرة، حيث العادات والتقاليد المتأصلة فيها والتي لا يمكن أن تتخلى عنها وهي تفرغ كل همومها وطاقتها في التوبيخ المستمر للزوجة، الزوج وهو شخصية مهزومة غير واثق من نفسه، يعاني من الفقر والحاجة، والزوجة (الشخصية الرئيسية) تحس بالغربة في بيتها وخارج بيتها وصمودها ونضالها في صمت تحاول أن تعتاد على حياة المنفى اليومية وأن تصادق أناسا آخرين، وأن يكون لها دورا وتتجح فيه.

إذن الأسرة الجزائرية هنا ليست مجرد وحدة اجتماعية، بل مجاز للوطن نفسه: الأم (الجذور)، الأب (الانهزام)، الزوجة (المستقبل الباحث عن الخلاص).

ب. اللغة والحوار: تمثل اللغة أحد العوامل المباشرة في تحديد الهويات التي انقسمت في الفيلم بين الفرنسية للأفراد الفرنسيين، والعربية بالنسبة للجزائريين الذين سرعان ما تأقلموا في الحديث بلغة البلد الذين يعيشون فيه خاصة بحكم دراسة أبنائهم في المدارس الفرنسية.

كما كان للحوار دور أساسي في رسم معالم الشخصيات الجزائرية منها: مخاطبة الحماة لكنّتها بمصطلحات السب والشتيمة تكشف عن قسوة اجتماعية راسخة "يا المهبولة يا الحمارة"، "نسيت بلي عندو موستاش.."، "أعطيني مفتاح تاع خزنة القهوة والسكر"، "إذا عندك النيف والشلاغم"....

بينما جملة الجارة الفرنسية «C'est pas la Casbah ici» تختزل رفض المجتمع الفرنسي لوجود الجزائريين. رد الحماة «C'est la Casbah...et c'est la maison de mon fils» هو تأكيد عنيد على الهوية الأصلية حتى في فضاء الغرب.

الازدواجية اللغوية ليست تقنية فقط، بل هي مسرح لصدام الهويات.

2.5 الثقافة: تجسد المخرجة حال المرأة الفقيرة التي لم تأخذ أي قسط من الثقافة في مجتمع أوروبي نتيجة التسلّط من الزوج والرقابة الدائمة من الحماة، كما تجسد حالة الغربة التي تعيشها بين عائلتها والغربة الداخلية، والراديو هو الوسيلة الوحيدة لاتصالها بالعالم الخارجي ليفتح ذهنها إلى مشاكل الحب. تتعاطف معها بعض

الشخصيات الفرنسية منهم الجارة الشابة التي تشجعها على أخذ زمام المبادرة والهروب من المنزل مع أطفالها للتزهر والخ. وتمنحها كتابا عن الحب والجنس، كما تهديها بعض أدوات الماكياج لكي تتجمل كالمرأة الفرنسية. الراديو هنا يمثل صوتاً بديلاً للهوية، يربط البطلة بعالم متخيل من الحرية، في حين أن هدية الجارة الفرنسية ترمز إلى إغراءات الاندماج في الثقافة الأوروبية.

3.5 القيم والمعتقدات والأعراف: أهم معتقد يُشار إليه في الفيلم هو عيد الأضحى الذي يصادف يوم الأحد والذي سيكون رمزاً للتحرر وإثبات الذات، الأمر الذي جعل منه عنواناً للفيلم، كما تمت معالجة بعض القيم والأعراف والتقاليد كوجوب قيام الزوجة بخدمة حماتها حتى في أبسط الأمور، انتظار الأطفال لحلويات العيد من الأقارب مثلما جرت العادة في جزائريهم!

- تحضير الكسكس وخبز "المطلوع"، تخبئة القهوة والسكر في خزانة وإقفالها بالمفتاح من طرف الحماة العجوز وتقديمهم فقط للإبن والضيوف... وهي من بين العادات السلبية التي عُرفت بها العجائز في فترة السبعينات (حسب الزمن الفلمي)، وأيضاً الحنة الشديدة السواد في يديها كسواد قلبها وطباعها في حياة زوجة ابنها.

- سب الزوج للدين في كل مرة ينهال فيها بالضرب على زوجته.

- الحماة بالرغم من قسوتها إلا أنها تدعوا لأولادها وأولاد الأمة كلها بالحفظ والصالح عند الصلاة والتسبيح،

- خرافة الغولة التي تحكيها الجدة لأحفادها لتهديهم في حالة ابتعادهم عن المنزل، تمثل انتقال الموروث الشعبي الجزائري إلى فضاء جديد، لكنه يُستقبل بالدهشة والرفض من الطفل الفرنسي وفراره.

الأعراف هنا ليست مجرد سلوكيات، بل حواجز هوياتية تفصل الجزائري عن محيطه الفرنسي.

4.5 الديكور والأزياء: لم نرى من ديكورات الجزائر سوى لقطة بانورامية للميناء الذي هاجرت منه العائلة الجزائرية في سفينة، يشبه ميناء سيدي فرج الذي دخلت منه فرنسا محتلة، وكأنه مجاز بصري لدوامه التاريخ الاستعماري، من دخول الاستعمار الفرنسي في الماضي نحو الجزائر وخروج المهاجرين في الحاضر نحو فرنسا! ممّا يعكس اضطراباً في استقرار الهوية الجزائرية التي واجهت عدّة عوامل مؤثرة... كما نجد الزرابي التقليدية و"الهيدورة" كفرش في البيت الجزائري، بينما الأرائك واللوحات الأثرية والأوسمة المعلقة كديكور وأكسسوار في البيوت الفرنسية العصرية.

كما شكّل الزي في الفيلم مفارقة بين الحايك الذي ترتديه أم "زونية" أثناء توديع ابنتها في ميناء الجزائر، وبين ثياب هذه الأخيرة وحماتها المتمثل في قميص منسوج من الحرير وتنورة طويلة ووشاح يغطي جزء من الشعر منذ مغادرتهم أراضي البلاد وأغراضهم المحزومة في "الصرة"، وترتدي "زونية" داخل البيت الفسائتين

القبائلية ربما هي إشارة من المخرجة لأصول البطلة الأمازيغية رغم أنهم يتحدثون بالعربية!...ونجد في الجهة الأخرى الزي العصري للأفراد الفرنسيين كالبنطلون الضيق والتنانير القصيرة جدا وهي تتنافى مع قيم العائلة الجزائرية حتى وهم خارج البلاد.

الفضاء المادي (البيوت، الملابس) يصبح ساحة لصراع الهويات.

5.5 الذهنية (العقلية): تشير المخرجة في الفيلم إلى تباين في العقليات، مثلا بين الجار الفرنسي الهادي المسالم وزوجته المتعصبة ضد الأطفال الجزائريين الذين يفسدون حديقته وهي تستعد لنيل "جائزة أجمل حديقة أزهار بالمدينة"، الأمر الذي يثير غضب أهم للدفاع عنهم والهجوم على الأخرى بخنقها. مما يوحي بطباع المرأة الجزائرية الحادة في حالة الدفاع عن أولادها. إضافة إلى تهديد الحماة دائما لكننتها بتطليقها وتزويج ابنها من امرأة أخرى أجمل وأشطر منها...

الذهنية الجزائرية في الفيلم تقوم على مزيج من الدفاع المستميت والسلطوية الداخلية.

6.5 الموسيقى التصويرية: شكّلت أغاني الفنانين الجزائريين القبائليين "إدير" و"بعزيز" خلفية لأحداث الفيلم منذ بدايته، وتتألف إيقاعاتها من آلة القيتار والناي والأورق، إضافة إلى الدربوكة التي تنفرد بخصوصية عربية مائة بالمائة.

بالتالي امتزجت حكاية الفيلم بالإيقاع الهادي العذب الذي يحيلنا إلى الهوية الجزائرية والأصول الأمازيغية من جهة، ويسكن وجدان المتفرج ليجعله يتفاعل إنسانيا مع الأحداث من جهة أخرى. الموسيقى هنا ليست خلفية بل ذاكرة سمعية تحفظ هوية مهددة بالذوبان.

7.5 التشكيل البصري واللقطات: تشغل الكاميرا ب حياة "زينة" لتوفّر للمشاهد صورة مؤثرة عن امرأة جزائرية تناضل ضد العزلة والضعف خارج بلدها وذلك من خلال توظيف: لقطات طويلة للتعبير عن السكون والاغتراب، وأخرى قصيرة سريعة مع حركات كاميرا مهزوزة في حالات التوتر والخروج من البيت دون علم الزوج. كما اقتربت الكاميرا من ملامح المرأة الجزائرية السمراء ذات الصفائر والعيون الغامقة الحزينة للكشف عن حياة الغبن والشقاء التي تعيشها.

العدسة السينمائية تصبح أداة لتشريح الهوية الممزقة.

8.5 الرؤية الإخراجية: يشكل فيلم "إنشالله الأحد" لمخرجه يمينه بن غيغي محاولة في السينما المغاربية لمعالجة موضوع المرأة من حيث أزمة الهوية والبحث عن الدور المستقل والقرار الحر، في قالب حكائي مشوّق

ينقلنا تارة نحو تعدّد الشخصيات في الهوية الجزائرية بين الكبت الاجتماعي والعاطفي والتسلط والعنف والتمسك بالقيم والأعراف، وتارة أخرى نحو الهوية الفرنسية التي تتأرجح بين مساندين للوفد الجزائري ومعارضين.

يمينة بن غيغي لا تقدّم الحكاية فقط، بل تفتح أسئلة حول معنى الانتماء:

هل الهوية الجزائرية في المنفى استمرارية للماضي أم هي هوية جديدة هجينة تحاول التشكل؟

هل العيد رمز للتحرّر الفردي (زونية) أم لاستمرارية الجماعة الجزائرية في الاغتراب؟

خاتمة

نخلص بالقول أن سينما المهجر أو ما يُعرف بالسينما "الفرانكوجزائرية"، تمثّل فضاءً فنياً وإبداعياً للتعبير عن الهوية الجزائرية في سياقات الغربة والمنفى. ويأتي فيلم "إن شاء الله الأحد" كنموذج واضح لهذه التجربة، حيث يبرز أن الهوية الجزائرية -على الرغم من تعدّد المرجعيات الثقافية والاجتماعية- ما تزال تستمد عناصرها الجوهرية من الهوية العربية الإسلامية، التي تمتزج بأبعاد أخرى ذات طابع تاريخي وحضاري خاص بالأمة الجزائرية.

فمن خلال السلوكيات الفردية والجماعية للشخصيات، تجلّت سمات هذه الهوية عبر:

- العصبية والحدة كآلية للدفاع عن الذات ومقاومة الآخر.
- التعاون الأسري والجماعي كقيمة أصيلة متوارثة.
- التمسك بالدين الإسلامي رغم العيش في بيئة غير مسلمة.
- الارتباط بالأصول العربية والأمازيغية التي تتجلى في العادات والطقوس والأزياء والديكور المنزلي.
- القيم الأخلاقية المرتبطة بالحياء والشرف والفحولة، والتي يختزلها الجزائريون في مفهوم "النّيف" بما يحمله من دلالات رمزية على الكرامة والاعتزاز بالانتماء.

وعليه، فإنّ الفيلم لا يقدّم مجرد حكاية عائلية في المنفى، بل يضع المشاهد أمام تجليات هوية جماعية متميزة، استطاعت أن تحافظ على خصوصيتها في مواجهة ثقافة الآخر. وهو ما يمنح السينما الفرانكوجزائرية دوراً حيويّاً في حفظ الذاكرة وتمثيل الذات داخل فضاء الهجرة.

الإحالات وقائمة المراجع:

1. مولاي أحمد بن نكاع (2012-2013)، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران 1.
2. محمد عدة (2012)، إشكالية بلاغة الخطاب السينمائي في تمثيل الواقع، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03،
3. رحمون لبنى، واقع السينما الجزائرية بعد الاستقلال: قراءة في تحولات المضمون والممارسة، جامعة قسنطينة 03، دراسة غير منشورة، د ت.
4. شرقي رحيمة (2013)، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
5. عباس الجارري، الهوية الوطنية والجهوية، منشورات النادي الجارري، الرباط، د ت.
6. منصور كريمة (2012-2013)، اتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران 1.
7. مسعود بوطلعة، سينما المهجر الجزائرية: أسئلة الانتماء والتأويل، صحيفة الأخبار، العدد 1204، جويلية 2012، www.al-akhbar.com
8. عز الدين صحراوي (2009)، اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
9. حفيظة محلب (مارس 2016)، الشباب والهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة: بين جدل القبول والرفض، الساور للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 03، العدد 1، المجلد الثاني.